ملخص محاضرات مقياس النص السردي المغاربي (سنة ثالثة: دراسات أدبية)

السداسي : السادس 2022/2021

الأستاذ: عبدالمالك بوتيوتة

1. السرد المغاربي زمن الاحتلال ومشكلة الانتماء:

1.1. المغرب العربي:

دول المغرب العربي الكبير هي : ليبيا موريطانيا تونس الجزائر المغرب، وهي الفضاء الجغرافي الممتد من شمال الساحل الافريقي جنوبا إلى البحر المتوسط جنوبا والمحيط الأطلسي غربا ودولة مصر شرقا تميز هذا الفضاء بوحدة الدين واللغة (الامازيغية والعربية) ووحدة التاريخ والعادات والمصير المشترك. كانت تدرس ثقافة وأدب وسياسة هذا الفضاء كلا متكاملا ثم صارت في زمن الاستعمار الفرنسي تدرس ضمن منظومة ثلاث دول هي: تونس، الجزائر والمغرب حيث أطلق عليهم الاستعمار بشمال افريقيا أوالمغاربيين Les Maghrébines وهذا للتميز بينهم وبين مستعمراتها في افريقيا من جهة والسعي إلى فصلها عن الانتماء العربي الإسلامي بالمشرق من جهة أحرى، في المقابل أطلق العرب على غرب إفريقيا(تونس)ببلاد المغرب وتمتد إلى الأندلس. ثم أطلق حديثا على الدول الأربعة بالمغرب العربي.

2. التحولات السياسية والاجتماعية وأثرها على نشأة الرواية العربية المغاربية:

بعد استقلال الدول المغاربية وجدت نفسها ضمن أنظمة متباينة من ناحية الحكم نجد نظامين ملكي بالمغرب وليبيا قبل 1969ونظام جمهوري موريطانيا تونس الجزائر، ومن ناحية المنهج الاقتصادي نجد نظام جمهوري اشتراكي بالجزائر وليبيا بعد1969 ونظام دستوري ينهج الاقتصاد الحر بتونس مثل نظام المغرب ذو الملكية المطلقة. وهذا التباين في الحكم والمنهج الاقتصادي كان له الأثر الكبير في التباين الفكري رغم وجود ثوابت مشتركة بين هده البلدان مثل وحدة الدين واللغة والتاريخ ... فالرواية لمكتوبة باللغة العربية لم تر النور إلا في العقد السابع رغم الظهور المتقدم لبعض القصص والروايات ؛ ففي المغرب وتونس ورغم استقلالهما عن فرنسا قبل الجزائر وخضوعهما للحماية وليس للاستدمار كما فالرواية لمكتوبة باللغة العربية لم تر النور إلا في العقد السابع رغم الظهور المتقدم لبعض االقصص والروايات؛ ففي المغرب وتونس ورغم استقلالهما عن فرنسا قبل الجزائر وخضوعهما للحماية وليس للاستدمار كما هو الحال في الجزائر إلا أن النص السردي العربي لم يكتب له الظهور إلا في العقد السابع من القرن

الماضي رغم صدور هذه النصوص في زمن الاستعمار مثل رواية أحمد المسعدي: أحاديث أبي هريرة كتبت سنة 1945 ونشرت في سنة1974. ورواية الرحلة المراكشية للمغربي عبدالله المؤقت كتبت سنة 1924 ونشرت سنة 1973 ورواية عبدالمجيد بن جلون (زمن الطفولة) سنة 1957 ونشرت في السبعينات من القرن الماضي. علما بأن نشأة الرواية العربية المغاربية جاءت مسايرة للأوضاع السياسية لبلدانها مثل طغيان الكتابة الأيديولوجية بالجزائر وهذا دفاعا عن الخيار الاشتراكي للجمهورية الجزائرية الفتية. وفي المغرب وتونس نهج السارد منهج الواقعية التي تعبر تردي الأوضاع الاجتماع البلد ونقد السلطة والدعوة إلى العدالة الاجتماعية.

ومن أهم القضايا التي أثارها النص السردي المغاربي: من ناحية الشكل الدعوة إلى كتابة روائية جديدة من خلال التجريب في اللغة والشكل الروائي وكسر رتابة السرد ...

في المضمون نجد النص اسردي المغاربي عمل على استحضار كل القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية من مساءلة التاريخ ومساءلة قضايا الاستشراق والاستعمار، البحث عن الديموقراطية وحرية التعبير، مقارعة الذكورة والبحث عن سرد نسوي متحرر من كل قيود الآخر ومقارعة الرجل، والجنوح نحو التجريب الروائي.

3. نشأة الكتابة السردية المغاربية، الجزائر نموذجا:

يعتبر الإبداع السردي في الجزائر خاصة وشمال افريقيا عامة من بين الأنواع الأدبية المعاصرة الأكثر حضورا في الوطن المغاربي خصوصا والعربي عموما؛ فقد عرف هذا الإبداع السردي بنوعيه الروائي والقصصي قبل منتصف القرن الماضي، لكنه كتب باللغة الفرنسية، ولم تظهر كتابات روائية باللغة العربية إلا في سنة سبعين من القرن الماضي، على الرغم من أن الكتابات الروائية الجزائرية ذات اللسان الفرنسي تتحدث عن الواقع الجزائري والهوية الجزائرية إلا أن بعض النقاد وخاصة نقاد التيار الفرانكفوني يعدونها من صميم الأدب الفرنسي؛ حيث كانوا –وما زالوا– يطلقون عليه بمدرسة شمال إفريقيا. ومن أبرز هذه المدرسة محمد ديب، كاتب ياسين، مولود فرعون، مالك حداد، مع بعض كتاب المغرب وتونس مثل الروائي المغربي الطاهر بن جلون وإدريس الشرايبي والروائي التونسي اليهودي الديانة ألبير ميمي... وكي لا يكون اللبس فقد اعتمدت هذه الأعمال ضمن الأدب الفرنسي أو مدرسة شمال إفريقيا إضافة إدراج كتاب فرنسيين في مدرستهم مثل، جون لوكوك، جون لوروى، رنيه جان كلو، ألبير كامي صاحب جائزة نوبل للآداب سنة1957 .

لم يقفوا في هذا الحد بل اعتبروها (المدرسة) امتدادا للأدب البيزنطي الروماني في العصر القديم مثل: أبوليوس والقديس أوغستين ويوبا وغيرهم من كتاب وفلاسفة شمال إفريقيا الذين ساهموا في إثراء الفكر الغربي وإصلاح

الكنيسة الرومانية البيزنطية مثل القديس أوغيستين. على من عدم وجود علاقة بين اللغة كتاب العصر الحديث وكتاب العصر القديم، وهذا التناقض كبير؛ فالمدرسة الفرنسية في الأدب والنقد والأدب المقارن تقر بوجوب اللغة المكتوبة، لكنها في شمال إفريقيا تحاول أن تحتوي كل ما هو غربي الروح والفكرة بغض النظر عن اللغة.

أما المدرسة الأمريكية فلا تعتبر اللغة دليل على الانتماء للأمة ما دامت النصوص تعبر عن وضعها الاجتماعي والديني ... بخصوصيات مشتركة. ولو ندرس جل الروايات الجزائرية ذات اللسان الفرنسي لنجدها كلها تعبر عن قضايا الفرد والمجتمع الجزائري المضطهد ، هذا محمد ديب صاحب الثلاثية (البيت الكبير 1952، الحريق 1954 والنول 1957) يرسم لوحة ضخمة عن الجزائر عشية الحرب العالمية الثانية، من خلال عيني و الشاب عمر، بحيث يستشف القارئ بؤس السكان المسلمين . ورواية نجمة للكاتب ياسين الذي يعتبرها روح الجزائر، حيث صور فيها أحداث 8 ماي 1945 ، ومالك حداد الذي يقر بأن اللغة الفرنسية هي منفاه.

أما عن الرواية العربية في الجزائر (المكتوبة باللغة العربية) فظهرت مطلع السبعينات من القرن الماضي، على الرغم من وجود بعض المحاولات القصصية المتقدمة مثل قصص رضا حوحو، وبعض القصص في بداية الاستقلال مثل المجموعة القصصية ل عبد الحميد بن هدوقة (الأشعة السبعة) صدرت بتونس عام 1962والمجموعة القصصية لزهور ونيسي (الرصيف النائم) سنة 1967 و مجموعة قصصية للطاهر وطار سنة 1969 (الطعنات)

ويعود تأخر ظهور الرواية العربية بالجزائر حسب الدارسين إلى عدم قدرة المثقف الجزائري باللغة العربية مسايرة ثقافة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ، كما أن هذه الأخيرة كانت قد قطعت أشواطا كبيرة في الإبداع والريادة وتجاوزت المحلية إلى العالمية ، إضافة إلى الرصيد الروائي الذي خلّفة الروائيون الفرنسيون الذين عاشوا بالجزائر أمثال (ألبير كامي، وإمانويل رولير) وكذلك استيعاب جمهور القراء للرواية المكتوبة باللغة الفرنسية ، وطبقة النخبة معظمها متشبعة بالثقافة الفرنسية ، إلا أن الخيار الاشتراكي التقدمي الذي أقرته الدولة الجزائرية الفتية حتّم عليها مجابهة كل مخلفات الاستعمار أو (الرجعية) ، وهذا في شتى الميادين بما فيها الفكر والأدب والفنون ، وكانت الباكورة الأولى للرواية العربية الجزائرية تجسيدا لتطلعات الدولة الجزائرية حيث عالجت قضايا الثورة ومحاربة كل أشكال مخلفات الاستعمار وهذا ما عرضه الروائي عبد الحميد بن هدوقة في رواية (ريح الجنوب)سنة 1970، لتتوالى الروايات العربية الجزائرية ذات الطابع الثوري المدافع عن مكتسبات الثورة والخيار الاشتراكي والثورة الزراعية والثقافية التي أقرتها الدولة الجزائرية ومن بين هذه الأعمال الروائية نذكر:روايتي (اللاز سنة 1972 والزلزال سنة 1974) للطاهر وطار، وقد تميزتا بالتوجه الإيديولوجي الاشتراكي المدافع لقانون الثورة الزراعية والمحارب لكل أشكال البرجوازية وظاهرة الخماس من خلال شخصية بولرواح في رواية الزلزال، وقد تميزت بالسرد المباشر والحوار المباشر ، مع طغيان المواقف

الأيديولوجية في مسار معظم أحداث الروايتين ، ثم نجدرواية نهاية الأمس لعبد الحميد بن هدوقة سنة 1975 التي تناولت قضية الإصلاح والتعليم في إطار الرؤية الاشتراكية، ورواية (العشق والموت في الزمن الحراشي) للطاهر وطار سنة1980 التي تناولت موضوع لجان التطوع في الجامعات، كما ظهرت قبلها سنة 1979صوت المرأة الجزائرية التي تناولت موضوع لجان التطوع في الجامعات، كما ظهرت قبلها سنة 1979صوتالمرأة الجزائرية من خلال رواية (من يوميات مدرسة حرة) لزهور ونيسي

1.3. من مميزات هذه المرحلة أي مرحلة التأسيس نذكر:

_ تأثر الرواية العربية الجزائرية بنظيرتها المشرقية، طغيان الجانب الأيديولوجي وخاصة المنهج الواقعي الاشتراكي وهذا ناتج عن تأثر كتاب الرواية بكتاب الواقعية الاشتراكية في روسيا حاليا والاتحاد السوفياتي سابقا مثل الكاتب تشيكوف وعبدالرسول حمزتوف

سارت الرواية الجزائرية على هذا النهج في العقد الثامن، وكانت الرواية السياسية والتاريخية هي الوعاء السردي الذي احتوى مرحلة بكاملها يتحاشى فيه الروائي نقد السلطة أو الحديث عن أزمة السلطة والسياسية والأزمات المنجرّة إزاءها وكان السرد الجزائري إبنًا شرعيًا لهذه السلطة ،إلا مع بعض الاستثناءات التي أحدثها رشيد بوجدرة بعد تحوله إلى الكتابة باللغة العربية ، وهو روائي من مدرسة الرواية الجديدة الفرنسية التي لا تهتم بالسرد المباشر وتعمل على تكسير رتابة الزمن ولا تعير أية اهتمام بالشخصية وتعطى للوصف حضورا كثيفا في فضائها ..... ظهرت رواية التفكيك سنة 1982 والتي تعد الأولى في العالم العربي من حيث الحداثة يقول نبيل سليمان في كتابه فتنة السرد والنقد:" لقد سبقت إلى بعض الملامح الحداثية للتفكيك جهود روائية أخرى ، كما لحقت بها كرواية، نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، والوباء لهاني الراهب، فيما يخص ملمح السّبك والدفق، وسواهما فيما يخص تشابك المواضيع وتداخلها، لكن التفكيك بدت أكثر طموحا من هذين الملمحين وبدت أكثر جرأة ومغامرة (...)خاصة أنها لكاتب ابتدأ كتابته بلغة الآخر(باللغة الفرنسية) من المفهوم أيضا ان تثير هذه الرواية زوابع لا زوبعة لغويا وبنائيا وسياسيا وفكريا) لتدخل الرواية الجزائرية بدءًا من التسعينات مغامرة جديدة في الكتابة الحداثية التي يطغى طابع التجريب، والانفتاح عليها ويغدو السرد التخيلي مواكبا للهزات العنيفة التي شهدتها الساحة السياسية الجزائرية في هذه الحقبة ، وتنتقل البلاد من "المشروع الواحد إلى المتعدد، ومن هيمنة أيديولوجيا حرب التحرير إلى العنف الأهلي " و قد انعكست هذه الأوضاع على نفسية الكتاب وصوروا كثيرا في كتاباتهم ثيمة الخيبة والإحباط والانكسار ، فكانت كتاباتهم تتسم أساسا بالنقد اللاذع إلى حد السخرية والمقت لمرحلة ما بعد الاستقلال ورموزها لما سموه بالثورة المغتصبة. نبد الرؤية الواقعية المعتمدة على محاكاة الواقع، تحول الذات إلى بؤرة مركزية بدل الجماعة. طغيان

التجريب في الرواية وهذا قصد استعادة مساءلة التاريخ والقضايا الاجتماعية السائدة. تفكيك البنية السردية التقليدية وتعويضها ببنية التفكك والتشظي...

2.3. من أهم الكتابات السردية الجزائرية نذكر:

- الشمعة والدهاليز لطاهر وطار، سيدة المقام لواسيني الأعرج ، محمد ساري(الورم)، (تاء الخجل) لفضيلة فاروق التي تسعى إلى نفض الغبار عن المسكوت عنه من خلال مأساة فتاة صحفية اغتصبت وتضع حدا لحياتها بإلقاء نفسها من جسر قسنطينة ...

ـ رواية (دم الغزال) للكاتب: لمرزاق بقطاش سنة 2002التي تتحدث عن اغتيال الرئيس بوضياف حيث برع السارد في تصوير موكب جنائزي مفعم بالشتائم وتهم الغدر والتخوين الموجهة للسلطة ،واضعا نفسه (السارد) ضمن المشيعين "أنا مرزاق بقطاش، من ضمن المشيعين". (أنظر ص 14 من الرواية).

- رواية أمين الزاوي التجريبية (السماء الثامنة) المفعمة بأساليب السرد المخادع، ومتاهة الأحداث، واستحضار الذاكرة ، إضافة إلى توظيف الموروث الديني والثقافي ...

4. التجريب في النص السردي المغاربي المعاصر:

1.4. مفهوم التجريب: (ينظر المحاضرة الحضورية).

2.4. عوامل التجريب في النص السردي المغاربي المعاصر:

المقصود بالعوامل هي الأسباب التي أدت بالمتخيل السردي المغاربي اتخاذ مبدأ التجريب كآلية للإبداع السردي بحيث جعلت المتخيل أكثر انفتاحا وثقافة سردية وتاريخية وفكرية مكنته من خوض هذه التجربة في النص الروائي خصوصا والسردي عموما، ومن هذه العوامل نذكر:

- انتشار(ازدهار) النقد السردي والسرديات المعاصرة في النقد الأكاديمي المغاربي ، حيث عمل على توجيه الإبداع السردي إلى توظيف الغريب والعجيب في الرواية، وهذا تأثرا بنقاد السرد والسرديات الغربيين أمثال أعمال الناقد تيزتيفان تودوروف ،حول النقد الأدب العجائبي في كتابه : مدخل إلى الأدب الغرائبي ، وعمل على نصوص سردية تراتية عربية (ألف ليلة وليلة)...

- الاحتفاء بمبدإ الحوارية والتناص الذي نادى به النقاد واستعملوه وسيلة معاصرة لنقد النصوص الأدبية ، وصفة ملازمة لظاهرة انسجام النصوص ، بحيث أصبح تداخل النصوص وتعالقها عملا محمودا ، بعد ما كان ضمن مجال (السرقات الادبية) بشرط ان يحسن المبدع طريقة التعالاق والحوار بين النصوص وحسن الانسجام بينهما.

- إضافة إلى تأثر بعض الكتاب بالرواية التجريبية في المشرق العربي مثل أعمال غسان كنفاني، واعمال الروائي المصري، جمال الغيطاني: (الزيني بركات، كتاب التجليات)،ورضوى عاشور (ثلاثية غرناطة)، وإميل حبيبي في (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل)، ونجيب محفوظ في (ليالي ألف ليلة)، ومحمود المسعدي (حدثني أبو هريرة قال...)، وواسيني لأعرج (نوار اللوز: تغريبة صالح بن عامر الزوفري)، وامين معلوف(ليون الإفريقي)
- انتشار ظاهرة البحث عن الهوية في الفكر الغربي والعربي المعاصر ، مما أدى ببعض الكتاب المغاربة في التفكير الى إعادة الاعتبار للتراث المغربي وقراءته قراءة تأويلية جديدة من خلال توظيف بعض العينات في ثنايا العمل الإبداعي، مثل التراث الصوفي، وتراث أدب الرحلة.....

3.4. نماذج السرد التجريب المغاربي

من بين كتاب الرواية التجريبية المغاربية نذكر الروائي بعض النماذج المغربية مثل روائي: بنسالم حميش الذي تزعم اتجاه التأصيل في توظيف التراث ومن اهم رواياته (مجنون الحكم والعلامة) التي يدين فيها الاستبداد والتسلط والقمع والظلم الاجتماعي. وقد اختار لشخصية الحاكم في روايته (الحاكم بامر الله الفاطمي) نموذجا. وهذه الشخصية التاريخية عرفت بالاستبداد والتسلط والقمع والكثير من التصرفات الغريبة في سبيل تحقيق رغبات الذاتية وبطريقة مازوخية غريبة تنتابه التي عانى منها الرعية في عهده.

وفي هذا الاتجاه (توظيف التاريخ السياسي) مثل رواية أحمد توفيق (جارات أبي موسى)التي يزاوج فيها فترة الحكم المريني بالمغرب المتميز بالجور وكثرة الأوبئة والجفاف ... وبذخ الحكام و شخصية أبي موسى الصوفية ذات الكرامات الإصلاحية الخارقة....في الجزائر بعد تحرر الكتاب من الكتابة الايديولوجية التي تمجد الخيار الاشتراكي للبلاد وتدافع عنه وجد كتاب الرواية الجزائرية في التجريب الروائي أرضا خصبة للتعبير عن كل القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية والتاريخية مثل توظيف التراث ومحاكاته مثل رواية الجازية والدراويش لعبدالحميد بن هدوقة، ورواية نوار اللوز لواسيني لعرج والطاهر وطار في روايته الحوات والقصر، هذا في توظيف التراث أما في مساءلة التاريخ فنجد رشيد بوجدرة في رواية معركة الزقاق، وفي الكتابة الصوفية نذكر رواية الطاهر وطار الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي.

4.4. خصائص التجريب في الرواية المغاربية المعاصرة.

وعلى العموم فإن مظاهر التجريب في الرواية المغربية تميزت بخصوصية فنية وثقافية ودينية وروحية ، ومن هذه الخصائص:

-توظيف التراث توظيفا إيجابيا للتعبير عن الراهن والمستقبل، من خلال استغلال تقنيات السرد العربي القديم وقوالبه الفلسفية، واستثمار التراث الفلسفي والديني الإسلامي الملتزم بالروح الفلسفية والإنسانية الإسلامية...

– الاستفادة من آليات التخييل العجائبي والغرائبي العربي وكذا العالمي مثل أعمال كتاب أمريكا اللاتينية جورج بورخيس وغابريال غارسيا ماركيز يمثل هذا النموذج رواية رشيد بوجدرة " الف عام من الحنين" التي جمعت بين عجائبية الواقعية السحرية لمارغيز وعجائبية نص ألف ليلة وليلة.

– استنساخ نصوص وخطابات تناصية وتعالقية في بعدها الحواري عبر وسائط هادفة تتميز بالمفارقة ؛ مثل نصوص أدب المقامة والرحلة والسير...

–الانفتاح على طرائق السرد العالمي مع الاحتفاظ بخصوصيات السرد العربي الأصيل

– اختيار مواضيع تعالج وضع راهن وتؤرق الفرد المغربي والعربي المتطلع للديموقراطية والعدالة الاجتماعية والتقارب بين شعوب القطر العربي.